

## محمد إلهامي | عصر الخلافة الراشدة | 7. الميزان الأخلاقي

### للحضارة الإسلامية

محمد إلهامي

اه صرنا على موج البحار بحارا. بسم الله والحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا وانت تجعل الحزن اذا شئت سهلا - 00:00:00

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما لماذا يفضل المسلمين علي بن ابي طالب رضي الله عنه على معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه لماذا لا يحب المسلمين الحاجاج بن يوسف الثقفي - 00:00:16

لماذا كلما ذكرت سيرة السلطان سليمان القانوني مثلا؟ قال لك احدهم ولكن قتل ابنه الامير مصطفى ظلما لماذا لا يندم المسلمين على انهم لم يبيدوا اليهود والنصارى الذين كانوا في بلادهم في الوقت الذي كانت لهم فيه القوة والسيادة - 00:00:32

الاجابة على هذه الاسئلة هي موضوع حلقتنا اليوم عن الميزان الأخلاقي لـلحضارة الإسلامية بداية لماذا نرفض العلمانية احد اسباب رفض العلمانية ان العلمانية بلا اخلاق لابد للاخلاق من مرجعية دينية. اما العلمانية فحيث لا اله حيث مرجعيتها هي المصلحة والمنفعة تحقيق - 00:00:51

المكاسب وتوسيع النفوذ. فساعة اذا لا يعود مفهوما ان يكون لها اخلاق. ما الذي يدعو انسانا للصدق اذا كان الكذب هو الذي سيحقق له ارباحا طائلة. ما الذي يدعو ما الذي يدعو الانسان الى الشفقة على الضعفاء والمعدومين والفقراء اذا كان طريقه الى - 00:01:16 الشهرة او الى السلطة او الى النفوذ او الى السلطة. يستلزم ان يقتل هؤلاء او ان يقصر عليهم. الاخلاق في المرجعية العلمانية هي شيء مزعج شيء لا ضرورة له. المساواة بين الناس مثلا ما الذي يجعلنا نعتقد ان الناس كلهم على مرتبة واحدة - 00:01:36

ولهم نفس الحقوق ولهم نفس المشاعر ولهم نفس التطلعات والاشواق. المساواة ليست حقيقة علمية. الواقع ان المساواة هي قيمة دينية وليس حقيقة علمية ولذلك لا يمكن ابدا ان تسبت في ظل المرجعية العلمانية - 00:01:56

يقول الرئيس المسلم المجاهد علي عزت بيجو فيتش رئيس البوسنة في كتابه الرائع الاسلام بين الشرق والغرب ان المساواة والاخاء بين الناس ممكن فقط اذا كان الانسان مخلوقا لله فالمساواة الانسانية خصوصية اخلاقية وليس حقيقة مادية - 00:02:16 ان وجودها قائم باعتبارها صفة اخلاقية للانسان كسمو انساني او قيمة مساوية للشخصية الانسانية وفي مقابل ذلك اذا نظرنا الى الناس من الناحية المادية فالناس غير متساوين فطالما حذفنا المدخل الدينى من حسابنا سرعان ما يمتلى المكان باشكال من اللا مساواة عرقيا وقوميا واجتماعيا - 00:02:37

وسياسيا ان السمو الانساني لم يكن من المستطاع اكتشافه بواسطة علم الاحياء او علم النفس او باي علم اخر. اذا عرفنا من هذا ان المساواة مثلا ليس حقيقة علمية وانما هي موقف اخلاقي. وهكذا كل الاخلاق لا - 00:03:05

تعبر عن حقيقة علمية وانما تعبر عن انجاز ديني. فحيث لم يكن للفكرة مرجعية دينية لم يكن للاخلاق اي قيمة اي قيمة تستند عليها. لذلك نعرف ان اية واحدة او حدثا واحدا. يا ايها الناس انا خلقناكم - 00:03:27

ومن ذكر وانشى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم. اية واحدة او حدث واحد في مجال الاخلاق هو ا فعل واكثر تأثيرا من كل نصوص حقوق الانسان والاتفاقيات والمعاهدات التي لا تساوي الحبر الذي كتبت به والتي عامة لا يلتزم بها - 00:03:47

حتى واضعوها لأن نصوص هذه الاتفاقيات ليس لها القدسية التي للنص الديني أما الإسلام فشريعة الإسلام شريعة أخلاقية. الواقع مما يلفت النظر في ابحاث المستشرقين الذين يتكلمون في الشريعة الإسلامية خصوصاً لو كانوا من القانونيين هو انتباهم لهذا المعنى أن الشريعة - 00:04:07

الإسلامية مختلطة بالأخلاق. ولذلك يكثر في كلامهم آراء لفت النظر إلى هذا المعنى أن الأخلاق ترسم حدود للشريعة الإسلامية. فمسالة جاك ريسنر وهو مستشرق وقانوني فرنسي أن القرآن يجد الحلول لجميع القضايا - 00:04:37

ويربط بين القانون الديني والقانون الأخلاقي ويسعى إلى خلق النظام والوحدة الاجتماعية وإلى تخفيف البؤس والقسوة والخرافات أنه يسعى إلى الأخذ بيد المستضعفين ويوصي بالبر ويأمر بالرحمة ونفس هذا المعنى يكرره مؤرخ الحضارة ويل ديورانت في كتابه قصة الحضارة. حينما يتحدث عن ارتباط الأخلاق - 00:04:58

والقانون في الشريعة الإسلامية فيقول القانون والأخلاق في القرآن شيء واحد فالسلوك الديني في كلِّيهما يشمل أيضاً السلوك الديني وكلِّ أمر فيهما موحى به من الله والقرآن يشمل قواعد للآداب وصحة الجسم والزواج والطلاق. ومعاملة الابناء والعبيد والحيوان والتجارة والسياسة - 00:05:26

والجريمة والعقوب وال الحرب والسلم. آراء العلماء في حضارتنا الإسلامية كانوا دائمًا جزءًا من الأمة ما هو لم يكونوا جزءًا من السلطة. فنصوص القرآن ونصوص السنة هي نصوص معصومة. لم يكتبه سلطان. ولم يفسرها جهة مرتبطة - 00:05:51

طبع السلطة بذلك نشأ لدى الفقيه المسلم حس أخلاقي مرهف ينتشر في عموم الفقه. أحد الابحاث الممتازة التي كتبت في هذه كتبها المستشرق الايطالي ديفيد دي سانتلانا. حيث يتحدث عن التأثير الأخلاقي في الشريعة الإسلامية فيقول ولكن - 00:06:11  
إذا كان حق المرأة هو منفعته الخاصة وواجبه الأدبي معاً فإن لذلك الحق حدوداً معينة بموجب مبادئ الأخلاق والمصلحة العامة فالصلاح والتراضي هما سيد الأحكام في كل وقت وأخذ التأثر ممنوع منعاً باتاً - 00:06:31

والتطبيق البدني على المدين مخالف للقانون ولا اعتساف في استعمال الحق تماماً إذ ليس لأحد أن يمارس حقاً له بالدرجة التي يسبب للأخر ضرراً محققاً وللفقهاء المسلمين في هذا الصدد احساس دقيق مرهف يفوق ما نتصوره - 00:06:49  
فمثلاً يمنع أن يحول حق الادعاء إلى وكيل هو عدو للطرف الذي اقيمت عليه الدعوة وممنوع أن يؤجر حيوان لشخص عرف بقوته على الحيوان وهكذا ترسم الأخلاق والآداب في كل مسألة حدود القانون. وهكذا يبدو واضحًا أن الشريعة الإسلامية شريعة مرتبطة بالأخلاق - 00:07:11

وتمثل الأخلاق جزءاً لا يمكن ان ينفصل عن روحها وعن كيانها وعن جوهرها. وهذه الصبغة الأخلاقية هي التي رسمت حدود واحكام الشريعة الإسلامية. الخلافة الراشدة كانت هي التطبيق العملي للإسلام. ولذلك - 00:07:35  
اسبَّتُ الخلفاء الراشدون انه يمكن ادارة دولة بسياسة ملتزمة بالأخلاق. هذه الدولة هي دولة واسعة امبراطورية تكثر فيها الاديان والاعراق واللغات والاجناس والاقوام والتفاصيل القبلية ومع ذلك استطاع الخلفاء الراشدون ادارة هذه الدولة التي كانت تمثل ثلث العالم بسياسة لم آلم تنتهك الأخلاق - 00:07:55

لم تتجاوز الأخلاق. الامر الثاني ان الشريعة الإسلامية في عصر الخلافة الراشدة استطاع الخلفاء الراشدون ادارة اخلاقية منضبطة في كافة مراحل الدولة. في مرحلة النشوء والتأسيس والصعوبات الاولى. في مرحلة القوة - 00:08:25  
التمكن والتوسيع في مرحلة الرخاء والرفاية وفي مرحلة الحروب الداخلية والقتن الخارجية ايضاً في كل هذه المراحل التي يمر بالدولة وهذه التقليبات لم يجد خليفة من الخلفاء مسوغاً لأن ينتهك الإسلام أو ان يتجاوز الأخلاق. وإنما ادار شأن - 00:08:45  
الامة وادار شأن السياسة بسياسة تلتزم بالأخلاق وتنضبط بها. وهذا في حد ذاته هو ضرب انطق ومبدأ السياسة المعاصرة. منطق ومبدأ السياسة المعاصرة يقوم على تحقيق الغايات اياً ما كانت الوسائل. وهو ما نراه جميعاً - 00:09:05  
في حياتنا الان والكذب والمناورة والمخادعة هي من صفات السياسي وكلما تمكناً احدهم من ان يصوغ الباطل في شكل جيد كانت

فرصته في ان يتبعين متحدى رسميا فرصة اكبر. وكلما استطاع احدهم ان يخادع ويناور. كان مكانه في آآجهزة - 00:09:25  
واروقة السلطة مكانا محفوظا. ادارة الخلفاء الراشدين للدولة الاسلامية على هذا الاتساع وبهذا التنوع وعلى طول الزمن في كافة مراحل تأسيس الدولة انما هو دليل على ان السياسة الملزمة بالاخلاق تستطيع بناء دولة عظمى - 00:09:45  
تستطيع بناء دولة اخلاقية لا تنتهي فيها الاخلاق ولا تمس منها قيد شعرة. ورؤوسنا يا ربها فوق اكفنا نرجو ثوابك مغنم وجواها ارى كنا نرى الاصنام من ذهب فنهدمها ونهدم فوقها - 00:10:05

الكافر بناء على نموذج الخلافة الراسدة كون المسلمين تصورهم للسياسة والتاريخ وال الحرب والسلم وادارة العلاقات والعلاقة بين السلطة والرعاية لذلك هذا هذه المرجعية التي مثلتها عصر الخلافة الراسدة صارت هي الحاكمة على كل العصور فيما بعد. وبالتالي لم يكن عند - 00:10:35

المسلمين هذا الميزان السياسي المادي فقط في تقييم الحكم ولا في تقييم عصورهم. مثلا اي مقارنة ما الدية بوجهة النظر العلمانية  
البحثة ستفضل سيدنا معاوية على سيدنا علي رضي الله عنه. يعني ايه سيدنا علي ؟ بالقياس المادي - 00:11:02  
العلمي فقط حكم اربع سنوات لم يمثل فيها زعامة لانصاره خرج منهم الخارج وآآخرج منهم الشيعة وغتيل على يد الخارج ولم يستطع ان يوحد الدولة الاسلامية كلها آآتحت لوائه. بينما معاوية مثلا حكم - 00:11:22  
آآعشرين سنة فيما بعد فترة الملك وآآمث زعامة واحدة لانصاره واجتمعت تحته الامة وانجز انجازات سياسية كان عصره آآعصر  
فتح ولكن هذا الذي تسوق اليه القراءة المادية العلمانية التي تنظر الى المنجزات والمكتسبات السياسية - 00:11:42  
لم يعتقد احد من المسلمين عبر تاريخهم. وانما ظل المسلمين يفضلون عليا رضي الله عنه على معاوية. ويررون ان معاوية وفاته هي الفئة الباغية. لماذا ؟ لأن هذا هو نص من حديث النبي صلى الله عليه وسلم لما قال - 00:12:02

عن سيدنا عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية. وكان سيدنا عمار في جانب علي وقتله في معركة صفين. فهنا حدد نص النبوي النص  
نص الوحي حدد قيه حدد الطرف الذي ينحاز اليه المسلمين ويعني - 00:12:22  
احى بهم وعدل بهم عن النظرة المادية البحثة لقراءة التاريخ. ثم ان سيدنا علي بن ابي طالب داخل في فترة الخلافة الراسدة فهو  
 الخليفة راشد من آآقال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي وفي الحديث  
الآخر الخلافة بعدي - 00:12:42

ثلاثون سنة بينما كان معاوية اول ملوك الاسلام واول فترة الملك العضود. القصد ان المسلمين يفضلون عليا رضي الله عنه على  
معاوية بالخلاف للقياس المادي العلماني وليس ذلك الا لوجود هذا الميزان الاخلاقي الذي - 00:13:02  
تكون من النصوص الدينية وتكون من سيرة الخلفاء الراشدين. نفس المثال يمكن ان نتكلم فيه ايضا عن عبدالملك ابن مروان  
وعبدالله ابن الزبير. عبد الله ابن الزبير صحابي. ظل خليفة لمدة تسعة اعوام واتخذ من مكة عاصمة له - 00:13:22  
يعني تقاد تكون الامة كلها انضوت تحته الاقطعة في الشام آآيعني اخذها الامويون بقيادة مروان بن الحكم ثم عبدالملك ابن ومع  
ذلك زلت هذه القطعة من الشام تتتوسع وتتمدد وتقطع البلاد من عبد الله بن الزبير حتى انتصر عبدالملك ابن - 00:13:42  
مروان على عبد الله بن الزبير يعني دانت له الامة فيما بعد. الرؤية المادية وحدها تناحر مباشرة الى عبدالملك ابن مروان. اما الرؤية  
الاسلامية فلا تزال تتعاطف مع عبد الله ابن الزبير. وتفضل على عبدالملك بن مروان. وترى عبدالملك بن مروان هو - 00:14:02  
والملوك التغلب وهذا التغلب هو وضع اضطراري لجأت اليه الامة الاسلامية حين لم آآلم يكن بالامكان الا وجود من يتغلب على الامة  
لكن يقيم الشريعة ويقيم الحدود طبعا. الواقع انه احيانا آآ وعلى غير - 00:14:22

بما هو معهود من سيرة التاريخ وسيرة المؤرخين وسيرة الفلسفة والمفكرين. العلماء المسلمين والمؤرخون المسلمين تكون لديهم  
قسوة على كثير من الشخصيات التاريخية التي لو ظهرت في سياق اخر سياق غربي مثلا لكانوا من ابطال التاريخ الكبار. يعني  
عبدالملك ابن مروان هشام ابن - 00:14:42  
عبدالملك ابو جعفر المنصور سليمان القانوني سلطان سليم ببرس سيف الدين قلاوون. يعني طائفة كبيرة من ابطال التاريخيين لو

كانوا في غير الامة الاسلامية لكانوا ابطالا لا يشق له غبار ولا يتحدث في شأن اخطائهم. بينما القيمة الاسلامية - [00:15:02](#)  
 او الوجدان الاسلامي والمؤرخين المسلمين يتحدثون عن اخطائهم ولا يرون فيهم قدوة يقتدى بها وانما يقترون القدوة على الخلفاء  
 الراشدين. واحيانا يبلغ هذا من يعني احيانا تكون هذه الحساسية الاخلاقية مبالغ فيها كذلك. بل - [00:15:22](#)

قل الواقع انه الحجاج بن يوسف الثقفي او يزيد بن معاوية او غيرهم من يقصو عليهم التاريخ الاسلامي هؤلاء لو ظهروا في سياق  
 غير السياق الاسلامي لما حوكمو الا بالانجاز المادي ولساروا عندئذ من ابطاله وغالب - [00:15:42](#)

ما يكون عند ابطال التواريخ الاخرى يكون لديهم من الفضائح والمذايحة ما اضعاف اضعاف ما اه اقترفه الحجاج بيوسف الثقفي او  
 يزيد بن معاوية او غيره ومع ذلك لا يزالون في تواريختهم يقدمون كابطال. الاخلاق هي التي - [00:16:02](#)

ترسم وجدان المسلمين في تقييمهم لتاريخهم وللشخصيات التاريخية التي كانت في ابطالهم الخلفاء الراشدون حين اسسوا هذه  
 الدولة التي تتضبط بالاخلاق صدر عن شعوبهم ورعايتهم امور لم تصدر ابدا في سيرة امبراطورية استعمارية مع شعب مغلوب. يعني  
 ان يتحرك رجل من القباط في مصر - [00:16:22](#)

الى المدينة المنورة ليشكوا عمرو بن العاص والي مصر وفاتحها والصحابي يشكوا ابنه لانه طبقه سم يتكلف ان يخرج من مصر الى ان  
 يصل المدينة ويشكوا الى عمر ابن الخطاب وهو هو نفسه هذا القبطي كان قبل سنة - [00:16:52](#)

اثننتين او ثلاث يتعرض للمذايحة والمجازر والاضطهاد الروماني. ولم يكن يفكر او يجرؤ في ان يقدم شكوى في من ظلمه من الرومان  
 اسس المسلمين هذه الدولة التي رأى فيها هذا القبطي انه ان تكلف سفرا من - [00:17:12](#)

مصر الى المدينة المنورة سيفج العدل وقد كان. فيما بعد ذلك قدم اهل سمرقند مثلا شكایة للقاضي الاسلامي الموجود في دمشق  
 يشكونه يشكون الجيش المسلم الذي دخل اليهم فاتحا دون ان يتلزم بنهج الفتوحات الاسلامية. تكفلوا السفر من ثمرقن - [00:17:32](#)

في اسيا الوسطى الى دمشق لكي يشكوا الجيش الفاتح سيفج العدل فيأمر القضاء الموجود في في دمشق بان يخرج الجيش  
 من المدينة مرة اخرى. ويتخلى عن ما كسبه من انتصار وما حسمه من موقف - [00:17:52](#)

ويعود ليلتزم عليهم قانون الفتح الاسلامي وشريعة الاسلام في فتوحه وقد كانت آآ وقد كان وهذا ما التزم به المسلمين وهي قصص  
 لا تعرف في سيرة اي امبراطورية في التاريخ. يقول جوستاف لوبيون المستشرق الفرنسي المشهور ان - [00:18:12](#)

محمد اعطى دروسا في الاخلاق والمدنية لكن هذه الدروس لا تزال حتى اليوم لا تنسى. المؤرخ الكبير دكتور حسين مؤنس له كتاب  
 اسمه الاسلام الفاتح يتحدث فيه عن انه حسب مساحة الاراضي التي فتحها المسلمون بمقارنة بمساحة - [00:18:32](#)

الاراضي التي دخلها الاسلام بغير فتح. فوجد ان المساحة التي دخلها الاسلام بغير فتح تساوي ثلثي مساحة العالم الاسلامي. اي ان  
 المسلمين لم يفتحوا الا الثالث فقط من مساحة هذا العالم. وما كان ذلك ليكون الا لأن هذا النموذج الاخلاقي الجذاب - [00:18:52](#)

الذي قدمه المسلمون هو ما جعل الناس يدخلون في دين الله افواجا. اسأل الله تبارك وتعالى ان يعلمنا ما ينفعنا وان ينفعنا بما علمنا  
 وان يزيدنا علما. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. كنا جبالا في الجبال - [00:19:12](#)

ربما سرنا على موج البحار بحارا. بمعابد الافرننج كان اذا نا قبل الكتائب يفتح الامصار لم تنسى افريقيا ولا صحراؤها سجداتها الارض  
 تنقضي ضيفنا. وكان ظل السيف ظل حديقة خضراء بتحولنا الازهار لم نخشى - [00:19:32](#)

حارينا ولو نصب المنايا حولنا اسوق ندعوه جهارا لا الله سوى الذي صنع الوجود وقدرنا ورؤوسنا يا رب فوق اكفنا نرجو وثوابك مغنا  
 مواجه كنا نرى الاصنام من ذهب نهدمها ونهدم فوقها الكفار - [00:20:22](#)